

الإمام المقرئ أبو القاسم الهذلي البسكري صلة علمية بين الغرب الإسلامي وشرقه
Imam Abu al-Qasim Yusuf bin Jubara al-Hudhali al-Baskari
A scientific link between the West and the Islamic East

د. عبد الهادي لعقاب

Laakab Abdelhadi

laakabdou@hotmail.fr

كلية العلوم الإسلامية، جامعة الجزائر 1

تاريخ النشر: 2021/12/31

تاريخ القبول: 2021/10/24

تاريخ الاستلام: 2021/07/02

ملخص:

جمعتُ في هذا البحث ترجمة مفصلة للإمام أبي القاسم يوسف بن جبارة الهذلي البسكري بينت فيها العصر الذي عاش فيه الهذلي في غرب الدولة الإسلامية وشرقه. وذكرت أحواله الشخصية كاسمه ونسبه ولقبه وتاريخ مولده، ووفاته، ثم انتقلت للكلام عن رحلته الكبيرة التي استهلها من القيروان ووصل إلى باب فرغانة في بلاد ما وراء النهر، ولاقى فيها كما هائلا من الشيوخ، لم يثبت في تاريخ الرحلات ما ثبت للإمام الهذلي من لقاء الشيوخ. ثم ذكرت بعض شيوخه، والمدن التي دخلها، وبعضها من تلاميذه، ومؤلفاته التي خلدت ذكره، وقيمتها العلمية التي تبوأها فصار ذا شأن بين العلماء في المشرق الإسلامي. ويظهر من هذه الترجمة مدى الصلة العلمية الوثيقة التي كانت بين العلماء في الشرق الإسلامي وغربه، وأن الواحد منهم يتنقل بين البلاد طالبا للعلم، فيأخذ ما شاء من العلوم، ويبث منها ما شاء. كما نلمح بوضوح مدى مساهمة الإمام أبي القاسم في إرساء قواعد علم القراءات بجمعه لمختلف القراءات والروايات التي قرأها ورواها في كل بلدة حل بها، فهو يعد أكثر العلماء رواية في علم القراءات، ثم انبرى يرتب ويصنف ما رواه وجمعه في مؤلفه ((الكامل في القراءات))، الذي غدا مرجعا لمن بعده. كلمات مفتاحية: الهذلي، القرآن الكريم، القراءات القرآنية، الجزائر، الغرب الإسلامي.

Abstract:

In this research, I put together a detailed biography of Imam Abu al-Qasim Yusuf bin Jabara al-Hudhali al-Biskri, in which I showed the time when al-Hudhali lived in the west and east of the Islamic State.

I mentioned in the details of his personal life; his name, his lineage, his last name, his date of birth and death, then I came to talk about his great journey that he started from Kairouan and arrived at Ferghana gate in Transoxiana, where he met a huge number of sheikhs.

Then I mentioned some of his sheikhs, the cities he entered, some of his students, his writings which immortalized his mention and his scientific value that he assumed, so that he became important among the scholars of the Islamic East. From this biography it emerges the extent of the close scientific relations that existed between the scholars of the Islamic East and the West, and that one of them travels between countries in search of knowledge, taking all the sciences. that he wants, and diffusing from them what he wants.

Keywords: Al-Hudhali; The noble Quran; the Quranic recitations; Algeria, the Islamic west.

المؤلف المرسل: د. عبد الهادي لعقاب ، البريد الالكتروني: laakabdou@hotmail.fr

مقدمة

لما كان القرآن شرفا يطلب، ومجدا ينشد، كانت الخيرية المطلقة في تعلّمه وتعليمه، مصداقا لقول المصطفى . صلى الله عليه وسلم : (خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ) (إسماعيل، 1997)، لذلك تصدى سلفنا الصالح وعلى رأسهم الصحابة رضوان الله عليهم لنقل القرآن كما تلقّوه من الحضرة النبوية الأفضحية، على صاحبها أفضل الصلاة وأزكى التحية، كما نقله هو بدوره عن جبريل أمين الوحي . عليه السلام . عن رب العزة جل جلاله. وكان نقل هذه الطريقة في الأداء بصفة دقيقة مأمّنة منذ العهد الأول من عظيم مظاهر حفظ الله تعالى لكتابه إذ قال: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ الحجر-9.

واستمر هذا العمل وانتشر في الأصقاع والأقطار، وتواتر العلم به، كلّ يعلم بما روى، ويؤدي ما نقل، وتواتر علمُ القراءات واتصل، ونأى عن سائر العلوم وانفصل، وكثر طالبوه في كل الأصقاع، وتأسست مدارسه في شتى البقاع، ودونت مسائله المتشعبة، ودُلّت قطوفها في متون منجبة.

وكان نصيب علماء الغرب الإسلامي من ذلك عظيما، إذ سعوا بكلّ ما أمدهم الله من عون وتوفيق في توطيد أركانه، وتصنيف مفرداته، وتشذيب فروعه، وتحرير مسائله، وتقريبه للناشئة، واختصاره للطالبيين، وبخاصة لما حل القرن الخامس الهجري فقد عرفت الأندلس والمغرب الكبير ومن ضمنه الجزائر حركة علمية نشيطة في التأليف في هذا الفن بالخصوص، فنبع أمثال الإمام الحافظ أبي عمرو الداني (ت 444 هـ)، والإمام المحقق مكي بن أبي طالب القيسي القيرواني (ت 437 هـ)، والإمام المقرئ أبو عمر أحمد بن محمد الطلمنكي (ت 429 هـ)، وغيرهم كثير تضيق بذكرهم السطور.

وكان من أقران هؤلاء، عالم حافظ كبير عُرف بالجمع والتنقيب، نشأ في حاضرة بسكرة، وأكثر من الرحلة في طلب القراءة والرواية منذ فتوّته وريعان شبابه، وكان له الفضل بعد الله سبحانه في جمع القراءات، وحفظ الروايات، وألف مصنفا جامعاً شاملاً في ذلك أسماء "الكامل في القراءات"، إنه الإمام: أبو القاسم يوسف بن علي بن جبارة البسكري الهذلي.

وإني أسعى في هذا المقال إلى ترجمته، مساهما بذلك في إبراز الاتصال الوثيق بين الشرق والغرب الإسلاميين في الحفاظ على الموروث القرائي، ونشر الرواية والدراية في القرآن وعلومه.

والله أسأل أن يجعل عملي هذا صالحا، ولا يتغاء مرضاته خالصا، وأن يجعله مدخرا محفوظا ليوم لا ينفع فيه مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم، إنه ولي التوفيق، والجدير بالتوفيق، له الفضل وحده، وبه الثقة سبحانه.

1. العالم الإسلامي في عصر الهذلي:

1.1 الجزائر في عصر الهذلي:

عرفت الجزائر في بداية القرن الخامس الهجري منعرجا مهما في تاريخها، فقد انتقل دعي الخلافة العبيدي إلى مصر بعد أن استلمها سنة 362 هـ، وترك إمرة إفريقية (تونس وشرق الجزائر ووسطها) بيد بُلُكَيْن بن زيري الصنهاجي، وبعد موت بُلُكَيْن تقلد الحكم ابنه المنصور، وبعده باديس بن المنصور. وكان أن انشق في عهد باديس عمه حمادُ بن بُلُكَيْن وأعلن انفصاله عن دولة العبيديين الروافض، ورفض التشييع ودعا للخلافة العباسية ببغداد، وأسس الدولة الحمّادية عام 405 هـ، وكانت عاصمتها القلعة بولاية المسيلة شرق الجزائر العاصمة، ثم تحولت في عهد الناصر بن علّناس إلى بجاية. وكانت دولة بني حماد تمتد من ولاية الجزائر إلى حدود ولاية عنابة اليوم، وتمتد جنوبا إلى حدود ولاية ورقلة لتحوز مساحة مهمة من الصحراء الجزائرية. ودام ملك الحمّاديين مائة واثنين وأربعين سنة حيث سقطت الدولة على أيدي الموحيدين عام 547 هـ.

وكانت الجزائر في عهد الحمّاديين ترفل في أبهى عصورها ثقافاً وحضارةً وعمرانا، فكانت المدارس والمعاهد العلمية والمساجد حافلة بدروس العلم والمجالس العلمية، وبخاصة في عاصمتها بجاية، حيث ازدحم على معاهدها الكثير من العلماء والحكماء والأطباء والشعراء، وأمّها جلّة علماء الأندلس ومصر والشام والحجاز والعراق وحتى العجم الأوربيين. وكثرت فيها المصانع والمعامل، والقصورُ البديعة، والبناءات الضخمة، والدور المُرُونقة، ما جعلها قدوة لغيرها في التمهير والتمدين.

وقد عرف عهد الحمّاديين بكثرة الاضطرابات والانقلابات السياسية، وكان لزحف الهلاليين الذين أرسلهم العبيديون لتأديب المنشقين عنهم في المغرب تأثير بالغ على استقرار البلاد، وكان ينافسهم في الشرق بنو عمومهم بنو زيري الصنهاجيون، وكانت قبائل زناتة ودولة المرابطيين تترصد بهم من جهة الغرب، إلى أن كان زوالها على أيدي الموحيدين (الجيلالي، 2010).

2.1 المشرق الإسلامي في عصر الهذلي:

أما في المشرق فقد كانت بداية القرن الخامس الهجري تشهد آخر العصر الثالث للدولة العباسية، أين كانت الدولة تحت سيطرة البويهيين الذين دخلوا بغداد سنة 334 هـ وسيطروا على الخلافة العباسية. وبنو بويه عائلة من أصول فارسية اعتنقت المذهب الشيعي الزيدي ونشرته ودعّمته (الأثير أ، 1425). وكان سقوط معسكر البويهيين على يد السلاجقة السُنيّين عام 447 هـ، واستعادت الخلافة العباسية في عهد السلاجقة شيئا من هيبتها وبخاصة في عهد الملك ألب أرسلان الذي تقلد الملك سنة 456 هـ، واستوزر الوزير الصالح نظام الملك الطوسي الذي سعى إلى نشر الاستقرار وتشجيع العلم والعلماء (الصلابي، 1427).

2. حياته الشخصية:

1.2 نسبه:

هو الإمام المقرئ اللغوي الأديب المتكلم الراوية الجوال الرّحال، الأستاذ الكبير والعلم الشهير: يوسف بن علي بن جبارة بن محمد بن عقيل بن سودة بن مكناس الهذلي البسكري.

يرجع نسبه إلى أبي ذؤيب الهذلي الشاعر المعروف (الذهبي، معرفة القراء الكبار، 0000)، صاحب العينية التي رثى فيها أبناءه الأربعة، والتي فيها:

وَإِذَا الْمَيِّتَةُ أَنْشَبَتْ أَظْفَارَهَا أَلْقَيْتَ كُلَّ تَمِيمَةٍ لَا تَنْفَعُ

وأبو ذؤيب هو خويلد بن خالد الهذلي الشاعر المخضرم، أدرك الجاهلية، وأسلم بعد موت النبي صلى الله عليه وسلم وكان أشعر هذلي، وهذيل أشعر العرب.

وكان ضمن الفاتحين الذين دخلوا إفريقية في جند عبد الله بن سعد بن أبي سرح في إمرة الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه، فمات ودفن هنالك (الأثير، 1425).

والهذلي: نسبه إلى قبيلة هذيل، وهي قبيلة عربية حجازية، وتنسب إلى هذيل بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان (السمعاني، 1382).

والبسكري: نسبة إلى بسكرة: بكسر الباء وفتح الكاف وتسكين السين بينهما (ماكولا، 1990) (السمعاني، 1382)، وأبسكرة: بفتح الباء والكاف وتسكين السين، أوبسكرة: بكسر الباء والكاف وإسكان السين (ماكولا، 1990) (الأثير، 0000)، ودرج الناس في الجزائر على ضبطها بفتح الباء وتشديد السين مفتوحة وإسكان الكاف: بسكرة، مدينة تقع في الجهة الجنوبية الشرقية من الجزائر العاصمة، وتبعد عنها قرابة 400 كم، مشهورة بجمال طبيعتها، وروعة مناخها، وجودة تمرها.

قال ابن خلدون: "بسكرة: من كبار الأمصار بالمغرب، وتشتمل كلها على النخيل والأنهار والفدُن والقرى والمزارع" (خلدون، 1408).

وقال القلقشندي في صبح الأعشى: "وهي قاعدة بلاد الرّاب، ولها بلاد ذات نخيل وفواكه وزروع كثيرة، ومنها يجلب الثمر الطيب إلى تونس وبجاية" (القلقشندي، 0000).

وزاد بعض المترجمين للهذلي نسبة "المغربي"، وهي نسبة إلى بلاد المغرب، وكانت تطلق قديما على جملة بلدان الشمال الإفريقي (الذهبي، معرفة القراء الكبار، 0000) (الجيلالي، 2010) (الجزري، غاية النهاية في طبقات القراء، 0000) (الجزري، النشر في القراءات العشر، 0000).

وأضاف بعضهم نسبة "الأندلسي" (بشكوال، 1394) (الزركشي، 1376)، ولا نعرف أحدا ممن ترجم له أثبت دخوله إلى الأندلس.

ووصف في بعض كتب التراجم بـ "الضّير" (الحموي، معجم الأدباء، 1414) (الزركلي، 2002) (كحالة، 0000)، قال الذهبي: "ذكره عبد الغافر الفارسي ونعته بأنه ضير، فكأنه عمي في أواخر عمره" (الذهبي، معرفة القراء الكبار، 0000) (الجزري، غاية النهاية في طبقات القراء، 0000).

2.2 كنيته:

يُكنى "أبا القاسم" في جلّ المصادر، وانفرد ابنُ بشكوال في الصِّلة فكّناه "بأبي الحجاج" (بشكوال، 1394).

3.2 مولده:

ولد الإمام أبو القاسم الهذلي في رمضان من عام ثلاث وأربعمائة (403 هـ) في بسكرة، وقد صرّح بذلك لتلميذه عبد الله بن أحمد السمرقندي حين سألته عن تاريخ ولادته فأجاب: "في رمضان سنة ثلاث وأربعمائة" (الذهبي، معرفة القراء الكبار، 0000).

4.2 وفاته:

توفي الإمام أبو القاسم بعد رحلة حافلة في طلب الرواية، وجمع الأسانيد، والتأليف والتعليم في مدينة نيسابور التي فرغ بها من رحلته، وأفرغ فيها ما في جعبته، وتفرّغ للتعليم في المدرسة النظامية منذ سنة 458 هـ إلى حين وفاته. وكانت وفاته . رحمه الله . سنة 465 هـ.

3. نشأته وطلبه للعلم:

نشأ الإمام أبو القاسم في بلدته بسكرة أين ولد وترعرع واشتد سوقه واستوى، وأخذ مبادئ العلوم عن مشيخة بلده (الجيلالي، 2010)، وكانت بسكرة آنذاك عامرة بالعلماء، يقول ياقوت الحموي في حقّها: "وأهلها علماء على مذهب أهل المدينة" (الحموي، معجم البلدان، 1995). وليس لدينا ما نقدمه لبيان حاله في تلك الفترة، فلم نجد أحدا ممن ترجم له تكلم عن فترة شبابه الأولى قبل أن يشرع في الرحلة إلى المشرق، أو عرض وصفا لأسرته، أو شيئا من أخبار صباه.

غير أن الثابت المذكور أنه خرج من بسكرة طالبا للعلم سنة خمسٍ وعشرين وأربعمائة (425 هـ) (الذهبي، معرفة القراء الكبار، 0000) (الجزري، غاية النهاية في طبقات القراء، 0000)، وقد تجاوز الثانية والعشرين من عُمره، مستأنفاً بذلك رحلةً عظيمةً خلّدت له في كتب التاريخ.

يقول الإمام الزركشي: "ورحل.. فأبعد في الشّقة وجمع بين طريق المشرق والمغرب .. ولم أزل ولم أسمع أوسع رحلةً منه ولا أكثر شيوخاً" (الزركشي، 1376).

وقال الحافظ الذهبي: "المقرئ الجوّال، أحد من طوّف الدنيا في طلب القراءات" (الذهبي، معرفة القراء الكبار، 0000).

وقال عنه الإمام ابن الجزري: "الأستاذ الكبير الرّحال، والعلم الشهير الجوّال ... طاف البلاد في طلب القراءات، فلا أعلم أحداً في هذه الأمة رحل في القراءات رحلته، ولا لقي من لقي من الشيوخ" (الجزري، غاية النهاية في طبقات القراء، 0000).

1.3 رحلات الإمام الهذلي العلمية:

علمنا أن الإمام أبا القاسم الهذلي خرج من بسكرة عام 425 هـ طالباً للعلم والرواية، متجهاً إلى المشرق، فشرع في رحلته العلمية الشاقة العامرة بالخير، وبدأ بإفريقية (تونس) ودخل مدينة القيروان، أين كانت حاضرة للعلم يؤمها الطلبة من كل مكان قبل أن ينكبها الهالليون، ثم دخل مصر، ثم الحجاز، ثم الشام، وصرح بدخوله دمشق عام 426 هـ، وصرح برحلته إلى العراق عام 427 هـ، ثم رحل إلى كرمان سنة 430 هـ، ثم أصبهان، ثم إلى خراسان، ثم إلى بلاد ما وراء النهر، إلى إقليم الترك، حتى انتهى به المطاف وحطّ عصا التسيار في نيسابور سنة 458 هـ.

وإنما ذكرتُ هنا أشهر المدن والأمصار الإسلامية آنذاك، وإلا فقد دخل مدناً أخرى كثيرة، قال الحافظ ابن حجر: "قرأ عليهم ببلاذٍ متعدّدة تزيدُ على الخمسين من المغربِ إلى سَمَرْقَنْد" (العسقلاني، لسان الميزان، 0000).

وقد عُدّت المدن التي ذكرها في كتابه الكامل فبلغت ثلاثاً وخمسين مدينة.

وقد تحدّث عن نفسه . رحمه الله . فقال: "فجملهُ من لقيتُ في هذا العلم: ثلاث مئة وخمسة وستون شيخاً، مِن آخر المغرب إلى باب فرغانة، يمينا وشمالا وجبلا وبحرا، ولو علمتُ أحدا تقدم عليّ في هذه الطريقة في جميع بلاد الإسلام لقصدته" (الذهبي، معرفة القراء الكبار، 0000) (الجزري، غاية النهاية في طبقات القراء، 0000).

ولم يثبت عنه أنه دخل المغرب الأقصى، أو أنه رحل إلى الأندلس وأخذ عن شيوخها، فقد يكون المعنى في قوله: "من آخر المغرب" حد دولته، دولة بني حمّاد، التي كان يدين بالولاء لها.

وكانت للإمام أبي القاسم الهذلي همّة قعساء فارعة تلامس الثريا، وعزيمة مضّاء لامعة تلوح في المحيّا، فلا يفتأ يدخل مدينة من المدن التي يمر بها إلا ويزاحم بالركب، ويسعى سعيا حثيثا لجمع ما رغب من الروايات المشهورة والشاذة، فجمع عددا هائلا من الشيوخ، حتى برّ أقرانه في ذلك، وذاع صيته في جميع البلاد.

وزاد بأن برز رحمه الله في علم النحو والفقه والكلام، بجانب الرواية والدراية في علم القراءات، فكان يدرّس النحو، ويناقش في الفقه وعلم الكلام، يقول الأمير ابن ماكولا: "وكان يدرّس النحو ويفهم الكلام والفقه" (ماكولا، 1990) (الذهبي، معرفة القراء الكبار، 0000) (الجزري، غاية النهاية في طبقات القراء، 0000)، "وكان مقدّما في علوم اللغة وعلل القراءات وله ترجيحات واختيارات وأراء فيها خاصة" (الجيلالي، 2010).

ولما انتشر أمره، واستشرى خيره، سمع به الوزير الألمعيّ البار، نظام الملك الطوسي فاستدعاه سنة ثمان وخمسين وأربعمائة (458 هـ) للتدريس في إحدى مدارسه التي حملت اسمه في مدينة نيسابور،

ورسّمه أستاذًا بها، فمكث فيها إلى حين وفاته . رحمه الله (الصرفيني، 1414) (الذهبي، معرفة القراء الكبار، 0000) (الجزري، غاية النهاية في طبقات القراء، 0000) (الجيلالي، 2010).

ومع ذلك لم يكن يتوقف رحمه الله عن البحث والتنقيب والجلوس إلى العلماء والاستفادة منهم، وقد جاوز الخامسة والخمسين من عمره، فكان يحضر في حين مقامه بنيسابور دروسَ الإمام أبي القاسم القشيريّ المفسّر الأصولي، وقرأ عليه الأصول والفقه. وقد علم الإمام القشيريّ قدر الشيخ، ولمس علوّ كعبه ورسوخَ قَدَمه في العلم والرواية، فكان يراجعُه في مسائل النحو والقراءات ويستفيد منه (الصرفيني، 1414) (الذهبي، معرفة القراء الكبار، 0000) (الجزري، غاية النهاية في طبقات القراء، 0000).

وكان من شدة اهتمام الإمام الهذليّ في الجمع والتحريّ سعيه إلى نيل علوّ السند في الرواية، فمن ذلك ما ذكره عن نفسه فقال: "قرأتُ على الشيرازي على أبي علي الحسن بن إبراهيم الأهوازي... قال: ثم أدركتُ الأهوازيّ بدمشق فقرأتُ عليه سنة ستّ وعشرين وأربعمائة".

وحَدّث أيضًا عن نفسه فقال: "قرأتُ على أبي العباس أحمد بن علي بن هاشم، قال: قرأتُ على أبي العلاء أحمد بن يعقوب الصلحي"، ثم قال الهذلي: "وأدركتُ أبا العلاء ببغداد بدرب السلولي حين قدمْتُ من مصر فقرأتُ عليه" (الهندي، 1427).

وهذا مثال نادر لِهَمّة عالية لا يملكها إلا أرباب الحِجى. قال الإمام ابن الجزريّ معلقًا: "كذا ترى همم السادات في الطلب" (الجزري، غاية النهاية في طبقات القراء، 0000).

وكان بجانب الحرص على الرواية والرحلة إلى المشايخ واسع الاطلاع، جماعًا للكتب، سهل التأليف، جليل الكتابة، ذَكَر في موضع في كتابه الكامل كتبًا كثيرة أُلّفَت في الإمامة متنوعة المصادر، قال إثرها: "ومن كل واحد عندي تصنيف له فيها" (الهندي، 1427).

وقال عن كتابه (الكامل): "وألَفْتُ هذا الكتاب فجعلته جامعًا للطرق المتلوّة والقراءات المعروفة، ونسختُ به مصنّفاتي كالوجيز والهادي" (الذهبي، معرفة القراء الكبار، 0000) (الجزري، غاية النهاية في طبقات القراء، 0000). بمعنى: أنه أَلَف كتابه الكامل وبث فيه خلاصة ما جمعه من علم القراءات، فكان ماحيا مزيلًا لكل ما أَلَفه من قبل.

2.3 شيوخه:

صار الإمام أبو القاسم الهذلي مضرب المثل في كثرة شيوخه الذين رحل إليهم وأخذ عنهم، فلم يعرف له مثيلا في عدد شيوخه وأساتيده.

يُعلم هذا بصريح عبارة الحَقّاذ الذين ترجموا له، وأكّدوا ذلك بما يزيل الشك والريب، فهذا الإمام الحافظ الذهبي يؤكد فيقول:

"أحد الجوالين في الدنيا في طلب القراءات، لا أعلم أحداً رحل في طلب القراءات بل ولا الحديث أوسع من رحلته، فإنه رحل من أقصى المغرب إلى أن انتهى إلى مدينة قرغانة، وهي من بلاد الترك. وذكر أنه لقي في هذا الشأن ثلاثمائة وخمسة وستين شيخاً" (الذهبي، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، 2003).

"وقد ذكر في كتاب الكامل أسماء الشيوخ الذين تلا عليهم، وعدتهم مائة واثنان وعشرون شيخاً، وهذا شيء لم يتهياً لأحد قبله ولا بعده فيما علمت" (الذهبي، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، 2003)

(الجزري، غاية النهاية في طبقات القراء، 0000). وقد ذكرهم الذهبي وابن الجزري، وقال الذهبي إثر ذلك:

"إنما ذكرت شيوخه وإن كان أكثرهم مجهولين لتعلم كيف كانت همّة الفضلاء في طلب العلم" (الذهبي، معرفة القراء الكبار، 0000).

ولن أفيض في ذكر شيوخه لأن المحل لا يسعف، والمقام مقام اختصار، وإنما أذكر منهم من اشتهر وهم مع ذلك وفرة، وأنتخب منهم ثلة وهم كثرة (الهندي، 1427).

- الإمام المقرئ أبو العباس أحمد بن سعيد بن أحمد المعروف بابن نفيس الطرابلسي الأصل ثم المصري، إمام ثقة كبير، انتهى إليه علو الإسناد ورياسة الإقراء، قرأ على أبي أحمد عبد الله بن الحسين السامري، وعبد المنعم بن غلبون، قرأ عليه يوسف بن جبارة الهذلي بمصر، وابن الفحام الصقلي، وابن بليمة، وأبو معشر عبد الكريم الطبري وآخرون، وعمر حتى توفي وهو في عشر المائة سنة ثلاث وخمسين وأربعمائة (الذهبي، معرفة القراء الكبار، 0000) (الجزري، غاية النهاية في طبقات القراء، 0000).

- أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق، أبو نعيم الأصبهاني الحافظ صاحب التصانيف، روى القراءة سماعاً عن سليمان بن أحمد الطبراني، روى عنه أبو القاسم الهذلي اختياري أبي عبيد القاسم بن سلام سماعاً بأصفهان، وحدّث عنه. توفي سنة 430 هـ (الجزري، غاية النهاية في طبقات القراء، 0000) (ماكولا، 1990).

- أبو العباس أحمد بن علي بن هاشم، المعروف بتاج الأئمة المصري، شيخ حافظ أستاذ، قرأ على عمر بن عراك، وعبد المنعم بن غلبون، أقرأ الناس دهراً طويلاً، وهو من كبار شيوخ الإمام الهذلي، أخذ عنه القراءات وحدّث عنه، توفي سنة 445 هـ (الذهبي، معرفة القراء الكبار، 0000) (الجزري، غاية النهاية في طبقات القراء، 0000).

- الإمام المقرئ الأستاذ أبو علي الحسن بن محمد بن إبراهيم المالكي البغدادي، صاحب كتاب (الروضة في القراءات الإحدى عشرة). قرأ على أبي أحمد الفرضي، وأحمد بن عبد الله السوسنجردي. سكن مصرو صار شيخ القراء بها. قرأ عليه الهذلي بمصر سنة 433 هـ، توفي سنة 438 هـ (الذهبي، معرفة القراء الكبار، 0000) (الجزري، غاية النهاية في طبقات القراء، 0000).

- الإمام المقرئ أبو الفضل عبد الرحمن بن أحمد بن الحسن الرازي العجلي، شيخ الإسلام الثقة الورع، صاحب التصانيف الكثيرة، قرأ على أبي الحسن الحمّامي، وبكر بن شاذان، وظاهر بن غلبون، قرأ عليه الهذلي بالروايات في شيراز، توفي سنة 454 هـ (الذهبي، معرفة القراء الكبار، 0000) (الجزري، غاية النهاية في طبقات القراء، 0000).
 - الإمام المقرئ محمد بن الحسين بن محمد بن أذربهرام أبو عبد الله الكارزيني الفارسي، أستاذ جليل، انفرد بعلو الإسناد في وقته، أخذ القراءات عرضاً عن الحسن بن سعيد المطّوعي، وهو آخر من قرأ عليه في الدنيا، وقرأ على أحمد بن نصر الشّدّائي، قال الذهبي: سألت الإمام أبا حيان عنه فكتب إليّ: "هو إمام مشهور لا يُسأل عن مثله". صرح الهذلي بالقراءة عليه بمصر. قال الذهبي: "لا أعلم متى توفي إلا أنه كان حياً في سنة أربعين وأربعمائة" (الذهبي، معرفة القراء الكبار، 0000) (الجزري، غاية النهاية في طبقات القراء، 0000).
 - الإمام المقرئ المحدث أبو العلاء محمد بن علي بن أحمد بن يعقوب الواسطي القاضي نزيل بغداد، إمام محقق وأستاذ متقن، صرح الهذلي بالقراءة عليه فقال: "وأدركت أبا العلاء ببغداد بدرب السلولي حين قدمت من مصر، فقرأت عليه رواية أبي بكر بن عياش سنة سبع وعشرين وأربعمائة" (الهندي، 1427)، توفي سنة 431 هـ (الذهبي، معرفة القراء الكبار، 0000) (الجزري، غاية النهاية في طبقات القراء، 0000).
 - الإمام الزاهد الأستاذ أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيري النيسابوري الشافعي الصوفي، صاحب "الرسالة القشيرية" في التصوف، أحد الأئمة الأعلام، ومشائخ الإسلام الكبار، كان بارعا في شتى الفنون، أصوليا مفسرا متكلمًا، شافعيًا في الفروع، حضر الهذلي مجالسه في الأصول والفقه. توفي سنة 465 هـ (الذهبي، سير أعلام النبلاء، 1427) (السبكي، 1413).
- وغير هؤلاء كثير يصعب حصرهم، ويضيق المكان بذكرهم.

3.3 تلاميذه:

جلس الإمام أبو القاسم الهذلي للتدريس والإقراء بعد عمر حافل من التحصيل العلمي جابه في أقطار العالم الإسلامي شرقا وغربا، وانتهت به الرحلة إلى مدينة نيسابور سنة 458 هـ أين عيّنه الوزير نظام الملك مدرسا في مدرسته النظامية، فبقي بها إلى حين وفاته. ولما كان صيته ذائعا، وأمره شائعا، أقبل عليه الطلاب من كل حذب وصوب، يعبّون منه ما جمع، ويستفيدون بما حصّل، ويقروّون عليه بمضمن كتابه الكامل وأزيد، وكان منهم:

- الإمام المقرئ الكبير أبو العز محمد بن الحسين بن بندار القلانسي الواسطي، شيخ العراق ومقرئ القراء بواسط، أستاذ جليل، صاحب التصانيف في القراءات، رحل إلى بغداد وقرأ

على الهذلي كتابه الكامل، وهو أشهر تلاميذه. من مؤلفاته "إرشاد المبتدي وتذكرة المنتهي"، و"كفاية المبتدي وتذكرة المنتهي". توفي بواسط سنة 521 هـ (الذهبي، معرفة القراء الكبار، 0000) (الجزري، غاية النهاية في طبقات القراء، 0000).

• المقرئ أبو علي سهل بن محمد بن أحمد بن الحسين بن طاهر الأصبهاني الحاجي، أستاذ ماهر صالح، له كتاب (مفاريده العشرة بعلمها)، روى القراءة عن أبي القاسم الهذلي، قال ابن الجزري: "وهو آخر من روى عن الهذلي"، مات سنة 543 هـ (الذهبي، معرفة القراء الكبار، 0000) (الجزري، غاية النهاية في طبقات القراء، 0000).

• الإمام المقرئ أبو المظفر عبد الواحد بن حُمد بن محمد بن شَيْذَة السكري الأصبهاني، روى كتاب (الكامل) عن الهذلي. توفي سنة 524 هـ (الجزري، غاية النهاية في طبقات القراء، 0000).

4.3 ثناء العلماء عليه:

اكتسب الإمام أبو القاسم الهذلي شهرةً واسعة لطول رحلته، وكثرة شيوخه، ووفرة مروياته، ومُكنة علمه، وجليل كتبه، جعلته قبلة طلابه، ومقصد مريديه، وأطلقت يراع العلماء المترجمين بالثناء عليه، وقد مربنا شذرات من ذلك، فمنها:

• قال الإمام تقي الدين الصرفي: "أبو القاسم الإمام المقرئ الضير من وجوه القراء ورؤوس الأفاضل عالم بالقراءات كثير الروايات" (الصرفي، 1414).

• وقال ياقوت الحموي: "المقرئ النحوي، كان عالماً بالقراءات والعربية، قرأ على المشايخ بأصبهان وطُوف البلاد في طلب القراءات" (الحموي، معجم الأدباء، 1414).

• وقال الإمام الذهبي: "أحد الجوالين في الدنيا في طلب القراءات، لا أعلم أحد رحل في طلب القراءات بل ولا الحديث أوسع من رحلته" (الذهبي، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، 2003).

• ونقل عن عبد الغفار الفارسي قوله: "من وجوه القراء ورؤوس الأفاضل، عالم بالقراءات. بعثه نظام الملك ليعقد في المدرسة للإقراء، فقعد سنين وأفاد، وكان مقدماً في النحو والصرف، عارفاً بالعلل ... وكان أبو القاسم القشيري يراجع في مسائل النحو ويستفيد منه" (الذهبي، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، 2003).

• وقال ابن الجزري: "الأستاذ الكبير الرجال والعلم الشهير الجوال ... وطاف البلاد في طلب القراءات فلا أعلم أحداً في هذه الأمة رحل في القراءات -رحلته ولا لقي من لقي من الشيوخ" (الجزري، غاية النهاية في طبقات القراء، 0000).

- وقال عند الكلام عن كتابه (الكامل): "تأليف الإمام الأستاذ الناقل أبي القاسم يوسف بن علي بن جبارة الهذلي" (الجزري، النشر في القراءات العشر، 0000).
- وقال الإمام بدر الدين الزركشي: "ورحل أيضا أبو القاسم يوسف بن جبارة الأندلسي فأبعد في الشقة وجمع بين طريق المشرق والمغرب وصنف كتاب الكامل يحتوي على القراءات السبع وغيرها ولم أر ولم أسمع أوسع رحلة منه ولا أكثر شيوخا" (الزركشي، 1376).

4. كتاب الكامل وموقعه بين كتب القراءات:

1.4 مصنفات الإمام الهذلي:

لم يعرف عن الإمام أبي القاسم الهذلي .رحمه الله . كثرة تأليف، كما كان حال العلماء في عصره، وإنما ثبت أنه ألف خمس كتب في القراءات وعلوم القرآن، ضاع أربعة منها، وسلم واحد واشتهر، وصار علما على الهذلي، فلا يذكر إلا ويذكر معه، ألا وهو كتاب "الكامل في القراءات الخمسين".

ومصنفاته المفقودة هي:

. الوجيز في القراءات.

. الهادي في القراءات.

. درة الوقوف.

الجامع للوقف والابتداء.

والذي يظهر أن كتاب "الكامل" كان آخر كتب الإمام الهذلي تأليفا، فقد أودع فيه جملة مروياته، وزبدة اختياراته، ويزيد هذا تأكيدا ما نقله الذهبي وابن الجزري عنه: "وألّفْتُ هذا الكتابَ (يعني الكامل) فجعلتهُ جامعا للطرق المتلوة، والقراءات المعروفة، ونسختُ به مصنفاتي كالوجيز والهادي وغيرهما" (الذهبي، معرفة القراء الكبار، 0000) (الجزري، غاية النهاية في طبقات القراء، 0000) (الهذلي، 1428). ومعنى نسختُ: أزلتُ ومحوْتُ.

أما كتابا (دُرّة الوقوف)، و(جامع الوقف والابتداء)، فقد ذكرهما في كتابه "الكامل" وأحال إليهما بعد أن ذكر مسائل في الوقف والابتداء، ما دل على أنه ألّفهما قبل كتاب "الكامل"، قال رحمه الله: "لأنه ما من عالم إلا قد صنف في الوقف والابتداء كنافع، ونصير، والعباس بن الفضل الرّازي، وابن عيسى، وأبي حاتم، والأنباري، والرّغفاني، والأخفش، وابن مهران، والعراقي، وأنا في غير هذا الكتاب. فمن أراد ذلك فليتأمل درة الوقوف والجامع، وبينتُ فيه وقفَ الفقهاء، والصوفية، والمتكلمين، والقراء، وأهل المعاني" (الهذلي، 1428) (الهندي، 1427).

2.4 القيمة العلمية لكتاب الكامل في القراءات:

عُرف الإمام الهندي بكتابه "الكامل في القراءات الخمسين" الذي استطير شهرة، وذاع ذيوعا فاشيا، وصار كل من جاء بعده ممن أُلِف في القراءات يعتمد عليه، إذ حوى علما غزيرا، وطرقا عزيزة، وتحقيقا في مسائل علم القراءات والتجويد، ونقولا مسندة في بعض علوم القرآن.

أودع الإمام الهندي خلاصة ما رواه في رحلاته، وزبدة ما جمعه من مشايخه وأساتذته، وقدم بين يديه بالكلام عن علوم تحوط بعلم القراءات كلاءة، وتحيط به كلاله، حتى يتم النفع للطلابين، ويحصل الغرض للمقرئين، فصدر كتابه بالكلام عن فضائل القرآن والمقرئين، وبيان مذهبه في معنى الأحرف السبعة، والكلام عن عدّ الآي، وعلم التجويد، والوقف والابتداء. ثم نثر الأصول المطردة لعلم القراءات، ثم شرع يذكر قراءات الأئمة وهم كُثر، فذكر قراءات الأئمة العشرة المشهورين، وأضاف إليهم قراءات أربعين إماما مع اختيارات أخرى.

وتتجلى أهمية هذا الكتاب أن مؤلفه. رحمه الله. جمع قراءات أئمة كثيرين فوق قراءات الأئمة المشهورين، وزاد بأن شهِرَ باختياره فيه، قال رحمه الله: "هذا ما انتهى إلينا من السبعة رجالها، والاختيارات التي اختارها علماء الأمصار، ثم اتبعت أثرهم فاخترت اختيارًا وافقت عليه السلف بعد نظري في العربية والفقه والكلام والقراءات والتفاسير والسنن والمعاني، أرجو أن ينفع بعون الله وتوفيقه" (الهندي، 1428) (الهندي، 1427).

وقد أقبل العلماء والقراء على رواية كتاب (الكامل)، بل صار مستند من جاء بعده من العلماء في كتاباتهم وتحريراتهم، ويكفيه قيمة شهادة المحققين له أمثال الإمام ابن الجزري إذ يقول: "قرأ بالكامل إمام زمانه حفظاً ونقلًا أبو العلاء الهمداني على أبي العز ولا زال يقرئ به إلى آخر وقت" (الجزري، غاية النهاية في طبقات القراء، 0000).

وكان في تأليف ابن الجزري لكتابيه (النشر في القراءات العشر)، و(غاية النهاية في طبقات القراء) الاعتمادُ البالغ على هذا الكتاب، فلا تكاد تخلو صحيفة من صحائف هذين الكتابين من ذكر أو إحالة أو عزو إلى كتاب (الكامل) للإمام الهندي.

ومما يدل على اهتمام العلماء به وصوله إلى بلاد الأندلس إجازة ورواية، قال الإمام ابن بشكوال: "وكتب إلينا بإجازة هذا الكتاب القاضي أبو المظفر الطبري من مكة يخبرنا به عن أبي العز محمد بن الحسين المقرئ من مؤلفه" (بشكوال، 1394).

ونقل منه الإمام أبو حيان الأندلسي في تفسيره (البحر المحيط) في مواضع عديدة (الأندلسي، 1420).

وكان من مرويات الإمام الحافظ المحدث ابن حجر العسقلاني، فقد ذكره في كتابه (تجريد الأسانيد) (العسقلاني، 10). تجريد أسانيد الكتب المشهورة والأجزاء المنثورة، (1418).

وكان من المراجع الأساسية في القراءات للحافظ السيوطي في كتابه (الإتقان) (السيوطي، 1394) كما صرح به في مقدمته.

إلا أن الهذلي رحمه الله جمع في مؤلفه جمهرة من القراءات والأسانيد التي تكلم عنها العلماء بالرد والنقض، وزادوا بأن تكلموا في اختياره.

قال الإمام الذهبي: "وله أغاليط كثيرة في أسانيد القراءات، وحشد في كتابه أشياء منكراً لا تحل القراءة بها، ولا يصح لها إسناد" (الذهبي، معرفة القراء الكبار، 0000).

وقال الإمام ابن الجزري: "وَأَلَّفَ كتابه (الكامل) الذي جمع فيه بين الدُّرَّة، وأُذُن الجَرَّة من صحيح، وشاذٍّ، ومشهورٍ، ومُنْكَرٍ" (الجزري، منجد المقرئين ومرشد الطالبين، 1999).

وورد في كتاب (الدرالمصون) للسَّمين الحلبي ما نصه:

"قوله: {فَاسْتَغَاثَهُ} هذه قراءةُ العامَّةِ، من الغَوْثِ أَي: طَلَّبَ غَوْثَهُ وَنَصَرَهُ. وقرأ سيويوه وابنُ مقسم والزعفرانيُّ بالعين المهملة والنون، من الإعانة. قال ابنُ عطية: هي تصحيفٌ. وقال ابنُ جُبارة صاحب (الكامل): الاختيارُ قراءةُ ابنِ مقسم؛ لأنَّ الإعانةَ أولى في هذا الباب. قلتُ. أي السمين الحلبي: نسبةُ التصحيفِ إلى هؤلاء غيرُ محمودَةٍ، كما أن تَعَالَى الهُذَلِيَّ في اختيارِ الشاذِّ غيرُ محمودٍ" (الحلبي، 0000).

5. خاتمة:

يظهر من هذا العرض بوضوح أفق التواصل المعرفي الذي كان مترابطاً بين البلاد الإسلامية شرقيها وغربيها، وأن الإمام أبا القاسم الهذلي لما بنى أصوله في بلده مضى يستزيد من العلم في كل مصرٍ يدخله، وفي كل محلٍ يطرقه، حتى اشتد في العلم عودُه، وبرزَ أقرانه، فأفاد واستفاد. كما نلمح جلياً قيمة الرحلة في طلب العلم، وأن الإمام الهذلي لو بقي في بلده لكان خامل الذكر، مقعداً عن الوصول إلى ما وصل إليه بالخروج من بلده، فرحمه الله رحمة واسعة، وأثابه عملاً قدّم خير ما أثاب عالماً عن أمته.

قائمة المصادر والمراجع:

1. البخاري، محمد بن إسماعيل. (1997). *الجامع الصحيح*. الرياض: دار السلام للنشر والتوزيع.
2. عبد الرحمن الجليلي. (2010). *تاريخ الجزائر العام*. الجزائر: دار الأمة.
3. علي محمد الصلابي. (1427). *دولة السلاجقة*. القاهرة: دار اقرار.
4. شمس الدين الذهبي. (0000). *معرفة القراء الكبار*. تركيا: جامعة الإلهيات، إسطنبول.
5. السمعاني. (1382). *الأنساب*. حيدرآباد: مجلس دائرة المعارف العثمانية.
6. ابن خلدون. (1408). *المقدمة*. بيروت: دار الفكر.
7. القلقشندي. (0000). *صبح الأعشى في صناعة الإنشاء*. بيروت: دار الكتب العلمية.
8. ابن الجزري. (0000). *غاية النهاية في طبقات القراء*. القاهرة: دار ابن تيمية.
9. ابن الجزري. (0000). *النشر في القراءات العشر*. بيروت: دار الكتب العلمية.
10. أبو الحسن بن الأثير. (1425). *الكامل في التاريخ*. بيروت: دار الكتب العلمية.
11. أبو الحسن ابن الأثير. (0000). *اللباب في تهذيب الأنساب*. بيروت: دار صادر.
12. أبو القاسم بن بشكوال. (1394). *الصلة في معرفة أئمة الأندلس*. القاهرة: مكتبة الخانجي.
13. بدر الدين الزركشي. (1376). *البرهان في علوم القرآن*. القاهرة: دار إحياء الكتب العلمية.
14. ياقوت الحموي. (1414). *معجم الأدباء*. بيروت: دار الغرب الإسلامي.
15. خير الدين الزركلي. (2002). *الأعلام*. بيروت، لبنان: دار العلم للملايين.
16. عمر رضا كحالة. (0000). *معجم المؤلفين*. بيروت: دار إحياء التراث العربي.
17. ياقوت الحموي. (1995). *معجم البلدان*. بيروت: دار صادر.
18. ابن حجر العسقلاني. (0000). *لسان الميزان*. الهند: دار المعارف النظامية.
19. تقي الدين الصرفي. (1414). *المنتخب من كتاب السياق لتاريخ نيسابور*. بيروت: دار الفكر للنشر والتوزيع.
20. عبد الحفيظ الهندي. (1427). *الإمام الهندي ومنهجه في كتاب الكامل*. مكة المكرمة: جامعة أم القرى.
21. شمس الدين الذهبي. (2003). *تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام*. بيروت: دار الغرب الإسلامي.
22. شمس الدين الذهبي. (1427). *سير أعلام النبلاء*. القاهرة: دار الحديث.
23. تاج الدين السبكي. (1413). *طبقات الشافعية الكبرى*. الرياض: دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع.
24. أبو القاسم الهندي. (1428). *الكامل في القراءات الخمسين*. القاهرة: مؤسسة سما للنشر والتوزيع.
25. أبو حيان الأندلسي. (1420). *البحر المحييط في تفسير القرآن*. بيروت: دار الفكر.
26. ابن حجر العسقلاني. (1418). *10. تجريد أسانيد الكتب المشهورة والأجزاء المنتهية*. بيروت: مؤسسة الرسالة.
27. جلال الدين السيوطي. (1394). *الإتقان في علوم القرآن*. القاهرة: الهيئة المصرية للكتاب.
28. ابن الجزري. (1999). *منجد المقرئين ومرشد الطالبين*. بيروت: دار الكتب العلمية.

29. السمين الحلبي. (0000). الدر المصون في الكتاب المكنون. دمشق: دار القلم.

30. أبو نصر بن ماكولا. (1990). الإكمال في رفع الأرتياب عن المؤلف والمختلف في الأسماء والكنى والأنساب. بيروت، لبنان: دار الكتب العلمية.